قبائل الحلف الخماسي ومقاومتها للاحتلال الروماني بمقاطعة موريطانيا القيصرية خلال القرن الثالث الميلادي

أ/- حدة قادري
جامعة الجزائر 02

الملخص:

في مقالنا هذا سنبحث في فترة القرن الثالث الميلادي من الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم، أين ذكرت لنا الكتابات التاريخية القديمة والمخلفات الإبيغرافية مجموعة من القبائل التي كانت جزء من المجتمع المحلي، وتمكنت من تكوين تكتلات وكنفدراليات قبلية كقبائل النوميد والجيتول والموزولامي والبوار، استطاعت الوقوف في مواجهة الاحتلال الروماني وسياسته التوسعية في محاولة لصده عن ضم أراضيها، فتزعمت العديد من المقاومات التي اختلف تاريخها ومكانها، لكن هدفها استرداد حقوقها. ومن تلك القبائل سنسلط الضوء على قبائل الحلف الخماسي التي ذكرتها المصادر اللاتينية بأنها كونفدرالية قبائل متمركزة في المنطقة الجبلية، ما بين دلس وبجاية، واشتهرت بمقاومة الاحتلال الروماني خلال الفترة محل الدراسة.

الكلمات المفتاحية:

بلاد المغرب، الكتابات الإيبيغرافية، القبائل، تكتلات قبلية، الحلف الخماسي، المقاومة.

Abstract :

In this article, we will make researches in the period of the third century of the Roman occupation of the ancient Maghreb, where the ancient historical writings and epigraphic remnants mentioned to us a group of tribes that were part of the local community and were able to form tribal confederations such as the Numides, the Gaetulii , the Musulames and the Bavares , that were able to stand against the Roman occupation And its expansionist policy in an attempt to repel it from annexing its lands, so they led many resistors which history and place differed, but which goal was to recover their rights. Among those tribes, we will shed light on the tribes of the quinquennial alliance , which the Latin sources mentioned as a confederation of tribes stationed in the mountainous region, between Dellys and Bejaia, and it was famous for resisting the Roman occupation during the period under study.

Keywords:

The Maghreb, epigraphic writings, tribes, tribal blocs, the Quinquegentiani, resistance.

المقدمة:

إن المنطقة الممتدة بين الحدود الغربية لقرطاجة إلى نهر ملوية قد وفرت مجالا مناسبا لتمركز سكاني مهم ساهم في نشوء كيانات سياسية انتظمت في شكل ممالك وطنية محلية بدأت للظهور مع نهاية القرن الثالث قبل الميلاد من تكتلات قبلية كبرى، فالاحتلال الأجنبي القرطاجي ثم الروماني اقتضى تحالفات سياسية بين القبائل أو ما يسمى بالتحالف القبلي (كنفدرالية قبائل) الذي عرف على إثره بلاد المغرب القديم نقلة سياسية هامة مع ظهور هذا الشكل من التحالف. فتحولت القبيلة إلى قوة سياسية ظهرت على إثرها الممالك المحلية التي اعتنى المؤرخون القدامى بذكرها، وفي مقدمتهم الماسيل والمازيسيل التي فرضت نفسها على الساحة المحلية وأخضعت لسلطتها الكثير من القبائل المجاورة التي سكنت بلاد المغرب القديم، وإلى الغرب كانت تكتلات قبائل المور والتي لا نعرف عن سبب ظهورها شيئا، أما في الجنوب المحاذي للكنفدراليات الكبرى فاستقرت جموع القبائل المعروفة بالجيتول.

وعليه سنبحث في مجموعة من القبائل التي استطاعت تكوين تكتلات وكنفدرالية قبائل قاومت الاحتلال الروماني بالمغرب القديم، فقبائل الحلف الخماسي تعتبر من القبائل المغاربية القديمة الكبيرة التي استوطنت أراضي مقاطعة موريطانيا القيصرية، وقد ذكرتها المصادر الكتابية والمخلفات الابيغرافية في فترة متأخرة نحو القرن الثالث الميلادي. وعليه تمحورت إشكالية مقالنا كالآتي: ما هي القبائل التي شكلت هذه الكونفدرالية القبلية؟ وأين كانت مواطن إستيطانها؟ وكيف كان موقفها من سياسة الاحتلال الروماني هل كانت علاقة تمرد وثورات؟ أم كانت مهادنة ومتحالفة مع الرومان؟

أولا: المجموعات القبلية الكبرى في المغرب القديم بداية من القرن الثالث قبل الميلاد

عرف المجتمع في المغرب القديم بأنه مجموعات قبلية اضطرت في كثير من الأحيان الى الاتحاد فيما بينها أو التصارع حسب ما يقتضيه الحال. وقد أشارت النصوص الكلاسيكية القديمة الإغريقية واللاتينية إلى تلك الجماعات القبلية القديمة، فهيرودوت ذكر في كتابه الثاني والرابع من تاريخه عددا كبيرا من القبائل الليبية القديمة وأشار إلى تقاليدها وأعرافها، مقدما لنا صورة عن جوانب هامة من الحياة الاجتماعية للقبيلة[1]، بالإضافة إلى سترابون الذي خلف لنا معلومات مهمة عن الأرض والسكان ضمن الكتاب السابع من مؤلفه الجغرافيا[2].

تعد القبيلة من أقدم المؤسسات الاجتماعية والسياسية وهي أصل التجمعات البشرية منذ القدم وتحظى في المجتمعات التقليدية بمكانة هامة تتجلى في كونها معبرة عن انتماء الفرد إلى الوحدة الاجتماعية التي تشكل الحاضنة الأساسية له، وقد يكون هذا الانتماء جينيا كالانتماء إلى جد مشترك واحد، وقد يكون الانتماء القبلي ناتجا عن تحالف بين مجموعة من الأفراد أو مجموعة من القبائل مشكلين بذلك قبيلة تكون مرجعيتهم العصبية، بالإضافة إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية اِنصهرت فيها محددات اجتماعية مختلفة حقيقة أو وهمية، وتسكن القبيلة مجالا محددا ترسم حدوده، وتتحدث لغة واحدة مشتركة[3].

والقبيلة أو النظام القبلي في المغرب القديم قديم جدا[4]، وهي بمفهومها العام كيان اجتماعي قائم على مجموعة أسر متحدة بوشائح القرابة والدم والمصاهرة، وبإمكانها أن تتعزز بالمساكنة والمشاركة في مختلف النشاطات الاقتصادية[5]، بالإضافة لما ذكر سابقا تمثل القبيلة مجموعة من العشائر أو العائلات تنتهي إلى جد مشترك (agnats) أو الإغليد. الذي نجده في النصوص اللاتينية باسم (gens) أي عشيرة رغم أنّ الرومان استعملوا هذا المصطلح بمفهوم القبيلة[6].

وبرزت مع نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد قبائل انتشرت في جميع أنحاء المغرب القديم. وبالتحديد المنطقة الممتدة بين الحدود الغربية لقرطاجة إلى المحيط الأطلسي وشكلت كونفدراليات قبلية كبرى كان لها الدور المهم في سير الأحداث في المنطقة وتمثلت هذه الكونفدراليات القبلية في النوميد التي ضمت بدورها تكتلات قبلية أشهرها الماسيل والمازسيل والتي قد أنشأت ما يشبه الممالك، فاستقر الماسيل في الشرق مشكلين ماسيليا أو ما يعرف بنوميديا الشرقية، واستوطن المازيسيل في الغرب مشكلين ما يعرف بنوميديا الغربية[7] بالإضافة الى القبائل المورية (Maures) التي تمتد مواطنها بين وادي ملوية إلى غاية المحيط الأطلسي.

لم تفصل المصادر الكتابية في تسميات قبائل المور وأصنافهم بل اعتبروهم وحدة عرقية أكثر عددا من النوميديين، وعن أصل التسمية فأول من استعمل المصطلح "موريزيا" هم الجغرافيون الإغريق القدامى منهم بوليب (Polybe)، كما استعمله أيضا (Diodor)، وهو يعني الرقعة الجغرافية الأكثر بعدا بالنسبة لبلادهم، والتي تقع في أقصى الغرب، ويذكر سترابون أن الأهالي يسمون أنفسهم ماوري، وسماهم الإغريق المورزيين وكان يقصد بهم البعض ذوي البشرة السمراء أو الداكنة[8].بالإضافة الى القبائل الجيتولية (Gaetulii) وقد أطلق هذا الاسم على الأمة الثالثة في بلاد المغرب القديم ، ويعتبر سالوست أقدم مؤرخ أشار إلى قبائل الجيتول حيث اعتبرهم من الأوائل الذين سكنوا بلاد المغرب القديم[9] وكان

لهم دور في تكوين الشعب النوميدي[10]، ويعود بروز ذكر هذه القبيلة إلى الحرب البونية الثانية في جيوش حنبعل في القرن الثاني قبل الميلاد[11]، وكانت تمتد مضاربهم من المحيط الأطلسي غربا إلى فزان شرقا، وهي بهذا الانتشار لم تكن تنتمي إلى إثنية واحدة لأنها قبائل متعددة الأصول جمعها إطار جغرافي متجانس نسبيا[12].

وقد تطرقت المصادر بالذكر لهذه القبائل أثناء كتابة التاريخ الروماني بالمنطقة، من خلال اهتمامه بالمقاطعات التي حاول الاستيطان بها فأشار إلى القبائل التي قاومته أو التي تعيش بجانبه سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وأجمعوا على تقسيم السكان الأصليين (القبائل المحلية) تقسيما سياسيا أو إداريا معتمدين في ذلك على الأوضاع المترتبة عن التغيرات السياسية الناجمة عن الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم[13]. وأهم هذه المجموعات التي تردد ذكرها في النصوص الأدبية والنقوش الأثرية بالمنطقة نجد الموريون في الغرب والنومييد في الوسط والشرق، والجيتوليون في الداخل بمحاذاة الموريين والنوميد، ثم الفاروزيون في الجنوب الغربي والغرامنتيون في الجنوب الشرقي، وكل مجموعة مما سبق ذكره كانت تضم قبائل كثيرة[14].

يتضح مما سبق أن تلك القبائل لجأت إلى الاتحاد والتكتل فيما بينها، بصفة طواعية بعيدا عن أي ضغوطات أو أي مساعي خارجية، فالشعور بالهوية الجماعية وبالمصير الواحد لهذه القبائل، فضلا عن التهديدات الخارجية دفعها إلى الاتحاد والتكتل في كنفدراليات قبلية، وقد ساعدها على ذلك وحدة الأسس الثقافية والاجتماعية والدينية والإثنية، وفي الكثير من الأحيان الوحدة الاقتصادية لكن وصول الرومان وانتهاجهم سياسة قائمة على التفرقة والتهجير جعل هذه القبائل تتشرذم وتتفرق بفك اتحادها وهو ما أضعف قوتها وهدد وجودها.

يمكننا القول أن المنطقة الممتدة بين الحدود الغربية لقرطاجة إلى نهر ملوية قد وفرت مجالا مناسبا لتمركز سكاني مهم ساهم في نشوء كيانات سياسية انتظمت في شكل ممالك وطنية محلية انتشرت فيها القبائل في جميع أنحاء المغرب القديم. فالقبيلة هي مجموعة من الأسر متحدة تجمعها القرابة بالدم أو المصاهرة، وهو أول صور للنظام الاجتماعي الدائم.

ثانيا: كونفدرالية الحلف الخماسي Quinquegentiani:

إن تسمية بعض القبائل كالماسيل والمازيسيل كانت في فترة زمنية محددة وكانت لها دلالات جغرافية وربما تقسيمات إدارية بالمملكة النوميدية في عهد ماسينيسا وخلفائه، غير أنه لم يحتفظ بهذه الأسماء في العهد الروماني مثلما احتفظ بموري وجيتولي ونوميدي، كما أنه في فترات لاحقة من تاريخ المنطقة استوطنت بالمنطقة مجموعة من القبائل الكبرى اختلفت أسماؤها، واشتهر بعضها في تاريخ المقاومة ضد الإحتلال الروماني منها: قبائل الموزولامي (Musulames) الضاربة في بلاد النوميديين والجيتوليين التي اقترن اسمها بالمقاومة الأولى التي واجهت حركة التوسع الروماني نحو الداخل.

البوار (Bavares) وقبائل الحلف الخماسي (Quinquegentiani) والمعروفة والمعتصمة بشمال الصومام والمنتمية الى بلاد المور، هذه الأخيرة ذكرتها المصادر عن تكوينها في كنفدراليات أو إتحادات لدفع الخطر وتأمين الاستقرار، وهي في الغالب تكون قوية، ونذكر أيضا كنفدرالية الموسوني الملكية (Musini Regiani) التي شغلت إقليم سطيف كما هو مرجح[15]، بالإضافة إلى العديد من القبائل الأخرى.

ورغم شح المعلومات سنحاول التطرق لأهم هذه القبائل التي قطنت المجال الجغرافي في الشرق الجزائري أي موريطانيا القيصرية خلال القرن الثالث الميلادي، وذكرتها المصادر سواء الكتابية أو الأثرية بالرغم من صعوبة تحديد أماكن تواجدها، مثل قبائل البوار وعلى الخصوص قبائل الحلف الخماسي.

وعند التعريف بمصطلح قبائل الحلف الخماسي أو ما يسمى (Quinquegentanei): فالكلمة مركبة من (Quinque) وتعني قبائل و(gentanei) وتعني خمسة، فالكلمة بمجموعها تعني اتحاد خمسة قبائل مغاربية مشكلة بذلك كنفدرالية[16]، وقد ذكرتها المصادر اللاتينية ككونفدرالية للقبائل المتمركزة في المنطقة الجبلية التي سكنت بالجهة الشرقية لبلاد القبائل[17]، وبذلك تربعت أراضيها على كافة أنحاء منطقة القبائل الكبرى ما بين دلس وبجاية في جبال جرجرة، واشتهرت بمقاومة الاحتلال الروماني خلال القرن الثالث الميلادي بالمرتفعات الشمالية لحوض الصومام[18].

وعن أصل هذه التسمية لقبائل الحلف الخماسي فهي ترجع إلى الأسطورة التي تقول أن زعيم كبير السن[19]، سكن المنطقة ولديه خمسة أبناء كلهم من الذكور، ثم أصبحوا مسؤولين عن عائلاتهم ثم كبرت هذه العائلات وأصبحت فيما بعد قبائل[20]. وقد طرحت خلفية تأسيس هذه القبائل إشكالية. فهل الظروف والمصاعب حتمت التحالف بين هذه القبائل؟ أم أنها تشكلت بتلقائية مكونة كونفدرالية[21]؟

وقد لقيت قبائل الحلف الخماسي اهتماما كبيرا من طرف المؤرخين الفرنسيين، وقد وضعت عدة فرضيات حول هاته القبائل التي شكلت هذا الحلف، فكانيا (Cagnat) قال بأن الحلف يتكون من الماسنيسانس (Masinissenses)، التندنيس (Tundenes)، والتوباليني (Tubalunu)[22]، أما كرتوا Courtois فقد اكتفى بذكر ثلاثة قبائل فقط هي قبيلة الناتاب (Natabes)، وقبيلة التيدنيس (Tyndenses) وقبيلة الماسينس (Masinissenses). في حين اعتبر ديزونج (Desanges) قبيلة البانيوري (Baniuraii)، وقبيلة التولونسي (Toulensii) من قبائل الحلف الخماسي، لكن هذا يبقى مجرد افتراض[23].

وعلى العموم فالقبائل التي كونت هذا الحلف هي كالتالي:

1. قبيلة الماسنيسنس Masinissenses[24] :

هي قبيلة مسينا أو إيمسينس (Imsissen) والمتمركزة في الضفة اليمنى لواد الساحل ذكرها أميان ماركولان (Ammien Marcellin) أثناء حديثه عن ثورة فيرموس، هذا الأخير الذي هاجمها بين سنوات 373 -374م بمنطقة تيكلات بواد الساحل، وهي بذلك تقطن بين تيكلات وواد أقبو ما يقابلها الآن إقليم أفنيان وبني وغليسن وأيث عامر [25].

2. قبيلة التندنيس Tundenses:

تقع هذه القبيلة في بترا ملاكو (حوالي25 كلم جنوب غرب تيكلات)، وهي تجاور قبيلة الماسينسنس وهما تقيمان بالقرب من تيكلات[26] (Tubsuctu)، هذه القبيلة متواجدة في شرق وادي الصومام[27] وهم بهذا التعيين يتمركزون في إقليم قبيلة فناية الحالية (بني وغليس وأيت عامر)[28].

3. إيسافلس [29] Isaflenses :

ذكرها أميان ماركولان وهي فليسة اليوم أوإفليسن[30].

4. قبيلة الجبولوسي Gebalussi :

ذكرت في طاولة بوتنغر[31] على صيغة (Gubausil)، وتقع هذه القبيلة بشرق وادي الصومام وجنوب موسلييوم، وهذا اللفظ (Ussii) يشبه اللفظ الإغريقي (Usioi) جبلزيوم ،والتي ذكرها أميان ماركولان بإسم قبيلة الأيوبالوني (Lubaleni) والذي حصرها في المنطقة المجاورة لأوزيا، وهو ما ذهب إليه غزال الذي حدد موقعها في المنطقة الممتدة من باب لحديد إلى مذائق البالسترو (الأخضرية) (Palestro)[32]، وقبيلة الجيبولاسي قريبة من قبيلة الموسولاني، وهي بهذا التحديد تتمركز في جرجرة وهي زواوة حاليا[33] . وهذه

القبيلة تنتمي إليها عائلة نوبل(Nubel)التي وصفتها المصادر بالملكية.

5. قبيلة ليسلنس Lesalenses:

ذكرها أميان ماركولان أنها تتموقع في نواحي أوزيا[34] وهم متمركزين غرب زواوة.

أما بالنسبة لموقع اتحاد الحلف الخماسي (كونكوينتياني) (Qunquegentuane) فقد قام بوضعه يوليوس هونوريوس، وهو فيما بين صالداي (بجاية) وكاسوكوزرد (دلس)، كما ذكرت لنا قبائل أخرى وهي الفراتنس، الروسيكنس، البازوفيلتياتي والفليومينس، وقد استوطنت عموما في المناطق الممتدة من الشرق إلى غرب موريطانيا القيصرية[35]. وذكرت هذه القبائل في عدة نقوش حيث نجد نقيشة في صلداي (بجاية)، وأخرى عثر عليها في تيكلات، وأخرى بالقرب من تيزي وزو، ويرجع اتحاد هذه القبائل إلى سنة 328م، فيذكر أرتوب (Eurtop) أن ماكسميانوس قام بتوطين قبائل الحلف الخماسي في مقاطعات أخري[36].

وتحولت قبائل الحلف الخماسي إلى قوة ضاربة ومصدر إزعاج وصداع للسلطة الرومانية، وهذا بسبب الهجومات التي شنتها على ممتلكاتها في نوميديا[37]، كما خلفت حالة استنفار لدى الفرقة الأوغسط[38] ، ثم توغلت هذه القبائل في مقاطعة نوميديا، بعدما أسندت قيادتها إلى رئيس إحدى قبائل الحلف يدعى فراكسن (Faraxen)[39]، لكن تمكنت القوات الرومانية من رد هجومات هذه القبائل عن طريق القائد غارغيليوس مارتياليس الذي لقي حتفه في كمين نصبه له أتباع فراكسن[40].

ويتواصل ذكر ثورات قبائل الحلف الخماسي في فترات لاحقة فقد عثر عليها مسجلة في العديد من النقوش، وشهدت على تلك الثورات التي وقعت بالمنطقة[41]، فكان لها دور مهم ضد الرومان في ما بين 259-260م، وذلك اعتمادا على نقش أوزيا[42] المؤرخ بـ260م، والذي حمل إهداء إلى حاكم هذه المقاطعة Q.Gargilus) (Martialis الذي قاد معركة ضد فراكسن زعيم قبائل الحلف

الخماسي وانتصر عليه[43]، كما تمكننا هذه النقوش أيضا للاستدلال على ثورة أخرى لقبائل الحلف الخماسي بداية من سنة 289م في وادي الساحل، وانتشرت ببلاد القبائل الحالية حتى وصلت إلى الحضنة، وبسبب عدم تمكن الوالى من تهدئة الاضطرابات قدم الإمبراطور الروماني مكسيميانوس (Maximinus) بنفسه إلى هاته المنطقة، وقاد حملة عسكرية في سنة 296م عن طريق إسبانيا مع اختياره لأفضل الفرق العسكرية الرومانية المتواجدة بأوروبا، ورغم ذلك لم يتمكن هذا الإمبراطور الروماني من إخضاع الثوار إلا بعد سنتين من القتال. ثم اتجه بعدها إلى قرطاجة في مارس298م، بعد القضاء على ثورة تلك القبائل [44].

وعليه فقبائل الحلف الخماسي ذكرتها المصادر اللاتينية بأنها كونفدرالية كانت قبائل متمركزة في المنطقة الجبلية في ما بين دلس وبجاية، واشتهرت بمقاومة الاحتلال الروماني خلال القرنين الثالث والرابع الميلادي.

ثالثا: قبائل الحلف الخماسي في مواجهة الاحتلال الروماني:

لم تنقطع ثورات الأهالى في المغرب القديم طيلة فترة الوجود الروماني بالمنطقة، وذلك تعبيرا عن رفضهم للسياسة الرومانية، واستمرارها في الضغط عليهم وحصارهم بإقامة المنشآت العسكرية، وبناء القلاع والحصون مما حد من حريتهم[45]، وبدأت هذه السياسة منذ القرن الأول واستمرت بقوة خلال القرن الثالث الميلادي أين وجدت هذه القبائل الفرصة سانحة لشن عدة هجمات، وقيام العديد من الاضطرابات، والثورات ضد الرومان نتيجة للظروف التي كانت تعيشها الإمبراطورية الرومانية والمتمثلة في أزمة القرن الثالث الميلادي، وفي مختلف مقاطعات الولاية الإفريقية ومنها مقاطعة موريطانيا القيصرية.

1. ثورة عام 227م (انتفاضة المور الكبرى):

ذكرت هذه الثورة في نقيشة عثر عليها بمدينة سور الغزلان (Auzia)، تخليدا لانتصار حاكم مقاطعة موريطانيا القيصرية ليكنيوس هيروكلس(Hirocles T.Licinius)على قبائل البوار [46]المتحالفة مع قبائل الحلف الخماسي بقيادة فراكسن، كما تشير

نقيشة أخرى إلى أن هذا القائد كان فعلا حاكما لموريطانيا القيصرية في تلك الأثناء أي في عام227م[47]، وكان البوار هم أول المهاجمين، وذلك لقربهم من مراكز الاحتلال، حيث نزلوا من موطنهم بجبال البابور مكتسحين المزارع الرومانية في السهول، مما دفع المعمرين إلى بناء الأسوار والتحصينات للاحتماء بها عند الضرورة، وكان ذلك بتشجيع من الإمبراطور الروماني ألكسندر سيفيروس وبإشراف حاكم المقاطعة[48] ، ونذكر منها على سبيل المثال تحصين قلعة خربة عين السلطان الواقعة إلى الجنوب من سطيف، وقلعة عين ملول [49].

وأما عن سبب قيام هذه الثورة فتعود إلى قيام الرومان بفتح طريق بين ستيفيس وأوزيا (سور الغزلان)، عبر جبال البابور في محاولة الأباطرة السيفريين فرض رقابة مشددة على سكان هذه الجبال، ويشهد على ذلك نصب ميلي عثر عليه في برج غريس يعود إلى عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، هذه الثورة كانت على غير العادة داخل الليمس الروماني وليس في الصحراء[50]، إذن فسبب هذه الثورة هو رفض القبائل المحلية للسياسة الرومانية واستمرارها في الضغط عليهم وحصارهم بإقامة المنشآت العسكرية وبناء القلاع والحصون[51]، ومنها ما ذكرته نقيشة أخرى معاصرة لهذه الحوادث(أي في عام227م)، وقد عثر على هذه النقيشة بخربة عين السلطان جنوبي سهول سطيف، وهي تذكر لنا أعمالا تحصينية جرت على إحدى القلاع، ويبدو أنها كانت قائمة بنفس الموقع، وتدعى سيتوفتنس (Castillum Citofetense)[52].

2. ثورة سنة 253 – 262م:

من الثورات التي قامت بالمنطقة أيضا تلك التي شاركت فيها قبائل البوار وقبائل الحلف الخماسي في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وقد اشتدت في ما بين سنوات253-262م، وبين سنوات 289 حتى 298م[53]، ويذكر كركوبينو(Carcopino) أن إفريقيا الرومانية قد عرفت تزايدا في هذه الثورات، وقد دامت تسع سنوات، وما يهمنا هو ثورة 253-262 التي بدأت بثورة قبائل البوار القاطنة بمرتفعات البابور الذين إتحدوا مع قبائل الحلف الخماسي سنة 253-254م [54]، وهاجموا نوميديا وامتد الثورة إلى

سهول سطيف إلا أن حاكم مقاطعة موريطانيا القيصرية تمكن من التصدي لهذه الثورة ودفعهم للانسحاب، ويذكر كانيا (Cagnat) أن الثوار استطاعوا أخذ عدد من الأسرى النصارى، وبخاصة النساء، الأمر الذي دفع بالقديس كبريانوس (Cyprianus) لجمع مبلغ كبير من المال لأجل افتداء المختطفات، وعلى الأخص العذارى منهن، وقام بإرسالها إلى عدد من الأساقفة منهم أسقف توكا (Thucca) لفديتهن، ولم يرد في رسالته للأساقفة في نوميديا اسم أي قبيلة من القبائل المشاركة في ثورة سنة 253م، والراجح أن عملية الاختطاف هذه ترجع إلى قطاع الطرق وليس إلى الثوار[55].

وتذكر لنا المصادر أن حاكم موريطانيا القيصرية أوريليوس فيتاليس (A.Aurelius Vitalis) والقائد أولبيوس كاستوس (Ulpius Castus) قد تمكن من إلحاق الهزيمة بالثوار بعين بودية الواقعة بالقرب من وادي الأكحل، وفي فيفري 255م انتصر قائد الفرسان الموريين أيليوس بريمانوس (P.Aelius Primanus) (موري مرومن) على الثوار بنواحي سور الغزلان، وابتداء من سنة 254 تمتد الثورة إلى كامل القيصرية ونوميديا[56]، وقد تولى القتال كورنيليوس أوكتافيوس (M.Cornelius Octavianus) قائد أسطول مسينا [57] الذي عيّن حاكما على موريطانيا القيصرية من 255 إلى 258م ،حيث تشير النقيشة التي عثر عليها بثنية المسكن(نقيشة Macrinus) بالممر الرابط بين البابور وسهل سطيف على بعد 30 كلم عن مدينة سطيف (Sitifis)، إلى انتصاره على قبيلة البوار (Bavares) سنة 258م[58]، كما ورد بالنص كذلك أسماء ثلاث ملوك من بين الذين هزمهم أوكتافيانوس وهم: تغاوين (Tagauin) ومسمول(Masmul) وفاهم (Faham) [59].

هذا وتميزت سنة 259م بعدة معارك بين الفرق الرومانية بقيادة الليغاتوس ماكرنينوس ديكيانوس حاكم نوميديا(Macrininus Decianus) والثوار حيث كانت أول معركة بالقرب من ميلة (Milev) والثانية بالحدود النوميدية الموريطانية، وبعد المعركة الثانية وإنهزام البوار إنضمت قبائل الحلف الخماسي [60] التي هاجمت شرق موريطانيا وغرب نوميديا من الوسط متبعة وادي الذهب، بينما توجهت قبيلة فراكسينينس (Faraxinenses) نحو سور الغزلان وسهل مجانة، وقد قاد هذه الثورة فاراكسن الذي لقب من طرف الرومان بـ (Famosus) أو (Famososimus) والتي يمكن ترجمتها بالمشهور الذائع الصيت أوالمزعج، وثورتهم هذه تزامنت وثورة الحلف الخماسي[61]، ورغم أهمية هذه الثورة وعدم تمكن الجيش الروماني من القضاء عليه إلا في سنة 260م إلا أن المصادر الأدبية لم تتحدث عنها.

وإذا كان قمع السلطة الرومانية لتلك الثورات التي شهدها النصف الأول من القرن الثالث للميلاد قد سمح بعودة الأمن واستقرار الأوضاع بموريطانيا القيصرية؛ فإن ذلك الاستقرار لم يدم لفترة طويلة حيث ما إن تحل سنة 289م حتى تشهد هذه المقاطعة سلسلة أخرى من الثورات كانت أشد خطورة وأكثر عنفا[62].

3. ثورات سنوات 289 ــ 297م:

ما يميز الفترة الممتدة ما بين حكم غاليانوس (Gallienus) (253 - 268) وبروبوس (Probus) هو فقدان الشواهد المادية التي تعود إلى هذه الفترة ، ولكن يمكن القول أنه بين سنوات 259-263م ثارت مرة أخرى قبائل الحلف الخماسي في منطقة القبائل ثم عمت كل موريطانيا القيصرية، وقد إنتهت هذه الثورة باتفاقية سلام بين الطرفين[63]. ثم ساد الأمن والاستقرار في موريطانيا القيصرية والسطايفية لكن ما إن حلت سنة 289م حتى تغير الوضع[64]، بقيام ثورات أخرى في المقاطعة أكثر عنفا من سابقتها والتي خاضها البوار والحلف الخماسي [65]، واستمرت هذه الثورات حوالي عشر سنوات وشملت تقريبا كامل المقاطعة[66]، حيث تشير نقيشة سور

الغزلان (Auzia) إلى أن إقليم مقاطعة موريطانيا القيصرية عانت من ثورة شهدتها منطقة سور الغزلان Auzia، وسور لجواب غير أن حاكم المقاطعة أوريليوس ليتوا (Aurelius Litua) تمكن من القضاء عليهم في سنة 289، وفي نفس السنة اندلعت ثورة قبائل الحلف الخماسي[67] التي هددت السهول العليا لموريطانيا انطلاقا من الونشريس إلى القبائل الكبرى، وتوجب على أوريليوس ليتوا الخروج على رأس القوات السطايفية والقيصرية للقضاء عليها.

ومما زاد في خطورة الوضع تدخل قبائل أخرى كانت تتمركز بالشطر الشرقي ووسط الحضنة، ويحتمل أنها من القبائل الرحل، ويفترض حدوث تحالف بين هذه القبائل المنتشرة في شمال الصحراء وقبائل التل وسكان الجبال (قبائل الحلف الخماسي وقبائل البوار والباواريين المقيمين جنوب الشطوط) بين وادي الساحل وجبال الحضنة[68]، وواصل أوريليوس ليتوا حربه ضد قبائل الحلف الخماسي (Quinquegentanei) إلى أن انتصر عليهم سنة 292م[69].

واشتدت الثورات أكثر في عهد الإمبراطور الروماني دقلديانوس(284-305م) الذي شعر بالعجز عن إخماد هذه الاضطرابات والفتن المشتعلة بجميع أنحاء العالم الروماني، مما اضطره لإدخال العديد من الإصلاحات، والتي كان على إثرها نشأة المقاطعة السطايفية، والواضح من تلك التجزئة هو إنشاء ولايات صغيرة يسهل إحكام القبضة عليها[70]. ولم يقتصر هذا التعديل على التنظيم الإداري وحسب، بل مس كذلك الساحة الحدودية بإخلاء الجيوش الرومانية مساحات شاسعة من الولاية الموريتانية بالانسحاب من غرب القيصرية ماعدا الساحل، وعلى الرغم من هذه الإجراءات التي أريد بها إيقاف الثورات وتدهور أوضاع الإمبراطورية إلا أن هذه الثورات بقيت مستمرة[71]. ومن أهم الثورات بالمنطقة بعد إصلاحات ديوقليديانوس نجد:

4. ثورات 297- 298م:

استمرت الاضطرابات إلى غاية سنة 297 حيث ازداد إصرار سكان هذه المقاطعة على التخلص من الهيمنة والسيطرة الرومانية، والتي عجزت عن وضع حد نهائي لهذه الثورات[72]، مما اضطر بالإمبراطور الروماني ماكسيميانوس للتدخل شخصيا لمحاربة هذه القبائل، واتخذ من مدينة تيكلات كقاعدة عسكرية له انطلقت منها عملياته العسكرية[73]. وللقضاء على هذه الاضطرابات استدعيت الفرقة البريطورية، والفرق المساعدة الغالية والجرمانية وفرقة من كتيبة كلوديا الحادية عشر(Legio XI Claudia)، الفرقة الهرقلية الثانية (Cohors II herculia) وفرقة تراجانوس الثانية (Cohors II Trajana)، ويعتقد أنه تم القضاء على هذه الثورة في سنة 298 لأنه في 10 مارس 298 استطاع الإمبراطور الروماني ماكسيميانوس من دخول مدينة قرطاجة منتصرا[74].

ومما خلفته هذه الثورات التي قادها مختلف القبائل المحلية منها الحلف الخماسي هو تراجع السيطرة الرومانية نحو الشرق (اي تراجع الليمس الروماني بداية من عهد ديوقلديانوس)، حيث أصبحت المنطقة الممتدة على شكل شريط من مستغانم الى باتنة منطقة حرة، فغابت عنها بالتالي السيطرة الرومانية[75].

الخاتمة:

في الأخير يمكنا القول أنه من أهم المجموعات التي استوطنت أراضي المقاطعة القيصرية أثناء فترة الاحتلال الروماني خلال القرن الثالث الميلادي، وتردد ذكرها كثيرا في النصوص الأدبية، وعلى الخصوص النصوص اللاتينية، واستطاعت هذه القبائل تكوين كونفدراليات قبلية، نجد قبائل كثيرة لعل أشهرها قبائل البوار والحلف الخماسي اللتان اشتهرتا بالمقاومة الشرسة والمستمرة ضد الاحتلال الروماني.

إن السياسة الرومانية تجاه القبائل المحلية بموريطانيا القيصرية كمراقبة وتطويق السهول والهضاب وبناء الأبراج والقلاع والحصون وشق الطرقات أدت إلى حصار تلك القبائل والحد من حريتهم، وهو السبب وراء ثورات قبائل البوار والحلف الخماسي، تلك الثورات التي عرفت النجاح أحيانا والفشل في أحيان أخرى،

لكنهم استطاعوا أن يزعزعوا أمن السلطة الرومانية وأن يشكلوا خطرا على مصالحها بالمنطقة.

صورة تمثل إهداء لأباطرة ديوقليسيانوس ومكسيموس هرقل في تكتلات احتوت فيها على معاهدة سلام مع قبائل الحلف الخماسي في منطقة القبائل الكبرى.

الهوامش:

(1) هيرودوت، التاريخ، ترجمة: مصطفى الأعشي، الرباط،2009، II، 33،31- IV.199،168،43،42.

(2) سترابون، جغرافية سترابون (وصف ليبيا ومصر)، ترجمة: محمد مبروك الدويب، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي،2003، XVII، III.

(3) محمد الترسالي، الحياة البدوية بمنطقة الساقية الحمراء، دار القلم، الرباط،2019م، ص41.

(4) Sallustuis, Jughurta ,Paris,1974, LXVII,I.

(5) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص168.

(6) حفيظة العياضي، المنظومة القبلية في الأوراس من كيان النوميدي إلي مقاومة الاحتلال الروماني، العدد25،24، مجلة العصور الجديدة، 2016م، ص12.

(7) محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1998م، ص38.

(8) Ouiza Ait Amara,, (Recherches sur Les Numides et Les Maures Face à La Guerre Depuis Les Guerres Puniques Jusqu'à

L'époque de Juba 1er),Thése Pour Le Doctorat , Université Jean Moulin -lyon , France .p3**9.**

(9) Salluste ,Jugrtha, LXXX. **1** ,Texte établi et traduit par A.Ernout,10ème tirage,Les Belles lettres,Paris, 1974.

(10) أورد ساليستوس في كتابه حرب يوغرطة رواية عن سكان المغرب القديم جاء فيها "يتمثل السكان الأوائل لإفريقيا في الجيتول والليبيين وهم عمالقة متوحشون يتغذون على لحوم الحيوانات الضارية أوعلى الأعشاب في شكل مجموعات لا يحكمهم عرف ولا قانون ولا زعيم، يعيشون متجولين ومغامرين لا يتوقفون إلا عندما يداهمهم الليل. للمزيد ينظر:.Salluste,XVIII

(11) Ouiza Ait Amara, Op. cit .p42 .

(12) محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مؤسسة كنوز، دار الحكمة، الجزائر، 2019م، ص207.

(13) المرجع نفسه، ص194.

(14) نفسه، ص194.

(15) Cagnat . R , L'Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empereurs , , I et II Parties, Imp; nationale E. Leroux, 1913, p62.

(16) Carcopino.J, L**'**insurrection de 253 d**'**âpre une inscription de Miliana **.**Rev.Afr**،1919** ، p357; Desanges, j,Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique a l'oust du nil **.** Publications de la section d'histoire dakar, 1962, p61.

(17) عقون، المرجع السابق، ص161.

(18) المرجع نفسه، ص 161.

(19) أقوني ياسمينة، السياسة الرومانية في الجهة الشمالية الشرقية في موريطانيا القيصرية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع2، 2015، ص12؛ BOULIFA (S.A), Le Djurdjura à travers l'Histoire (depuis l'antiquité jusqu'à1830) ALGER, 1925, pp. 10-11.

(20) للمزيد ينظر :.BOULIFA (S.A),ibid, p11

(21) Cagnat . R ,Op. cit,pp62-63.

(22) Desanges.J, Desanges, j,Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique a l'oust du nil . Publications de la section d'histoire dakar, 1962. p67.

(23) Ibid,p61.

(24) Ibid, p61.

(25) Paul Atgier ,Les Maures d'Afrique, bullins et Mémoires de la société d'anthropologie de paris,V°,Série.Tome4,1903. p136.

(26) Cat, E, Essai sur la province de la Mauretanie Cessarien . Paris,1891,p73 Desanges .J,Op.cit,p68.

(27) Desanges.J,Op,cit, p61.

(28) عبد الحميد بعيطيش، التجمعات القبلية في المملكة النوميدية ودورها في تكريس نظام الحكم، المدينة والريف في الجزائر القديمة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص346.

(29) Desanges.J, op.cit, p62.

(30) عقون، المرجع السابق، ص162.

(31) LA Table de Peutinger ,Section VI.

(32) Gsell.S., Observations Géographiques sur la révolte de firmus .RSAC, 1902, p25.

(33) Desanges.J, Op.cit,p53.

(34) أقوني ، المرجع السابق، ص13؛

Desanges.J, Ibid,p55

(35) Desange.J,Op.cit,p68.

(36) Ibid, p68.

(37) Desanges. J, Op, cit, p68.

(38) Cagnat .R, Op.Cit, p.63.

(39) Ibid, pp63-64.

(40) عقون، المرجع السابق، ص163.

(41)تمام ناصر الدين، مقاومة سكان موريتانيا السطايفية للاحتلال الروماني خلال القرنين الثالث والرابع الميلادي، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 02، 2016/2015، ص71.

(42) C.I.L., VIII, 9047.

(43) مقدم بنت النبي، سياسة الرومان اتجاه قبائل بلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2001-2002، ص48.

(44) Camps, G, les Bavares Peuple de Mauretanis Césarienne .Rev ,Afri,volume 99,1955.p257.

(45) مقدم، المرجع السابق، ص136.
(46) Camps .G, Les Bavares…,Rev.Afric ,op,cit,p249.
(47). CIL.VIII , 9354.
(48) تمام، المرجع السابق، ص76.
(49) رمضان تسعديت، الإصلاحات الإدارية السيفرية في بلاد المغرب القديم (193-235)، جامعة الجزائر ،1990، ص44.
(50) المرجع نفسه، ص ص33-34؛ ناصر الدين تمام، المرجع السابق، ص 77.
(51) مقدم، المرجع السابق، ص136.
(52) شنيتي، المرجع السابق، ص277.

(53) Camps .G, Les Bavares, op, cit,p253.

(54) أحمد صفر أحمد، مدينة المغرب العربي التاريخ عشرون قرنا من تاريخ إفريقيا من عصور ما قبل التاريخ إلى العهد البيزنطي، دار النشر بسلامة، تونس، ص373.

(55) R,Op.cit, p60. Gagnat.

(56) مقدم، المرجع السابق، ص138.

(57) Benabou, M, La résistance africaine à la romanisation .paris: edit.maspero, 1976, p. 221.

(58) مقدم، المرجع السابق، ص138.
(59) شنيتي، المرجع السابق، ص347.
(60) مقدم، المرجع السابق، ص138.
(61) خالد محفوظ، مقاومة القبائل المورية ضد الاحتلال الروماني خلال القرن الثالث (بحث في العلاقات المورية الرومانية)، مجلة دراسات تاريخية، أعمال الملتقى الدولي النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني، العدد 5، ج1، جامعة الجزائر2، نوفمبر2014، ص207.

(62) خديجة منصوري، الدوناتية وثورات القرن الرابع في شمال إفريقيا، رسالة ماجستير، معهد التاريخ جامعة وهران، 1987/1986، ص207.
(63) محفوظ، المرجع السابق، ص207.
(64) تمام، المرجع السابق، ص82.
(65) محفوظ، المرجع السابق، ص207.
(66) صفر، المرجع السابق، ص374.
(67) مقدم، المرجع السابق، ص141.
(68) Benabou.M, 1976, p. 235.
(69) مقدم، المرجع السابق، ص141.
(70) محمد بوكبوط، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات ـ صفحات من تاريخ الأمازيغ القديم ـ، إصدار مركز طارق بن زياد، الرباط،1982، ص69.
(71) المرجع نفسه، ص70.
(72) تمام، المرجع السابق، ص82.
(73) المرجع نفسه، ص209.
(74) مقدم، المرجع السابق، ص 141.
(75) محفوظ، المرجع السابق، ص ص207-208.
(76) منصوري، المرجع السابق، ص210.